جوانب من الحياة الاجتماعية في سلطنة دهلي الإسلامية

(٦٠٢-٨١٥هـ / ١٢٠٦-١٤١٢م)

إعداد:

د/ خيرية بنت محمد علي آل سنة

أستاذ مشارك/ قسم التاريخ

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

جوانب من الحياة الاجتماعية في سلطنة دهلي[(١)] الإسلامية (٦٠٢-٨١٥هـ / ١٢٠٦-١٤١٢م)

الملخص

تناول البحث جوانب من الحياة الاجتماعية في سلطنة دهلي الإسلامية في الفترة (٦٠٢-٨١٥هـ / ١٢٠٦-١٤١٢م)، ومنها عناصر المجتمع الهندي، والذي يتكون من العديد من الأجناس المختلفة التي وصلت إليها براً أو بحراً، ثم استقرت فيها وأنشأت لها مستعمرات نشروا فيها عاداتهم وتقاليدهم إلى جانب الهنود الأصليين. تألف المجتمع الهندي من طبقتين متباينتين، الطبقة العليا في أيديهم السلطة والسيطرة، والطبقة الدنيا التي تمثل معظم السكان في سلطنة دهلي. وتناول الحديث عن الرقيق كطبقة في المجتمع الهندي والذين وصلوا للسلطنة في دهلي ممثلة في دولة المماليك، وقد كان الأرقاء في سلطنة دهلي يختلفون في أجناسهم وألوانهم ولم يقتصر على الرجال دون النساء وقد عملوا في قصور السلاطين والأمراء والنبلاء.

شاركت المرأة في سلطنة دهلي الإسلامية في مختلف المناشط، احتفل المجتمع الإسلامي في سلطنة دهلي بعيدي الفطر والأضحى، كما احتفلوا بعيد النوروز بأثر العناصر التركية، واحتفلوا بدخول رمضان، وعودة السلطان من حروبه منتصراً بأبهة وعظمة متناهية.

(١) دهلي: قاعدة بلاد الهند، ومن أعظم المدن الهندية، وهي عبارة عن أربع مدن. فمدينة دهلي القديمة التي بناها الهنود الكفار، والثانية تسمى سيري، والثالثة تسمى تغلق أباد، والرابعة جهان بناه، وتقع بقايا هذه المدينة جنوب دهلي العاصمة الهندية حالياً. (انظر ابن فضل الله العمري أحمد بن يحيى (ت/٧٤٩هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: محمد سالم بن شديد العوفي، (القاهرة، مطبعة المدني، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ص ١٨٢؛ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي (ت/٧٧٩هـ)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، اعتنى به : درويش الجويدي، (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٤م)، جـ٢، ص٣٤).

كان للزواج في سلطنة دهلي عاداته وتقاليده التي تتماشى مع الشريعة الإسلامية، كما ساروا على عادات المجتمعات الإسلامية في عادات الجنائز والعزاء و والدفن.

الكلمات المفتاحية :سلطنة دهلي - لحياة الاجتماعية – عناصر السكان –طبقات المجتمع –المرأة في الهند – الاحتفالات –عادات .

Aspects of Social Life in the Islamic Dahli Sultanate (602-815 A.H / 1206-1412 A.D)

Dr. Khairiya bint Mohammed [c]Ali Al-Sinah.

Synopsis:

The study about the social life of people of the Sultanate of Dehli for the period (602 - 815 A.H / 1206 – 1412, A.D)،. Those people arrived to the Sultanate by land and sea, and became part of the Indian society which is composed of many different races and creeds .and where they had created colonies and spread their customs and tradition alongside with the natives Indians. The Indian society consists of two different classes، the higher class that has the power and wealth and the low class which represents most of the citizens of Sultanate of Dehli. The study has also spoken about the people who reached the Sultanate of Delhi in the Mamluks state. As for the slaves who were in the Sultanate of Dehli, they were different in races and colors،although this did not apply men or women، who worked in the palaces of the sultans the princes and nobles.

Women's in the Sultanate of Dehli had participated in different activities. The Islamic society in the Sultanate had celebrated Eid al-Fitr and Al-Adha، the Turkish Nowruz Eid, Ramadan and the victorious return of the sultan from his wars with delightfully and infinity gratefulness.

The marriage in the Sultanate of Dehli had customs and traditions that were in line with Islamic law and has followed the habits and customs of Muslim societies in funerals، consolation and burial.

Key words: Sultanate of Delhi, Social life, Population component, society classes, women in India, celebrations, traditions.

المقدمة

كان الإقليم الإسلامي في بلاد الهند في عصر الغزنوي والغوري يحكمه نائب عن السلطنة، ولما سقطت دولة الغور حكم قطب الدين أيبك الإقليم الإسلامي في الهند حكماً مستقلاً سنة ٦٠٢هـ، وأقام دولة المماليك، ومن ثم قامت الدولة الخلجية (٦٨٩هـ - ٧٢٠هـ/ ١٢٩٠هـ - ١٣٢٠م)، ثم الدولة التغلقية (٧٢٠ – ٨١٥هـ/ ١٣٢٠ – ١٤١٢هـ)، وفترة حكم هذه الدول كانت العاصمة دهلي – إلا ما ندر من محاولات لنقل العاصمة إلى مواقع أخرى باءت بالفشل – وهذه الفترة المعنية بالبحث هنا[1].

أ- عناصر المجتمع:

تضم الهند طوائف وأجناس مختلفة، فقد وصلت إليها الهجرات على مدار تاريخها عبر الحدود الشمالية فاستقروا في إقليم السند[2]، ووصلتها هجرات عبر البحر على الساحل الغربي وكان استقرارها في إقليم البنجاب، كما استقر الكثير من المسلمين عند الفتح في أعالي

(١) بدواني، عبد القادر ملوكشاه (ت/٩٤٧هـ)، **منتخب التواريخ**، تحقيق: توفيق هاشم بور سبحاني، (طهران: مؤسسة أنجمن آثار ومفاخر فرهنكي، ١٣٨٠هـ. ش)، جـ١، ص١١٦؛ الشرقاوي، محمود، **رحلة ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا**، (مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م)، ص٢١٣؛ محمود، حسن أحمد، **الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي**، (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م)، ص١٨٧ – ١٩٨؛ الندوي، محمد إسماعيل، "تاريخ الإسلام في الهند" **مجلة الكتاب العربي**، (العدد الثامن، ١٣٨٤هـ)، ص٢٤.

(٢) السند: إقليم بين الهند وكرمان وسجستان، وتقع حدود ولاية السند ضمن نطاق أراضي نهر السند السفلية؛.(ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموي(ت/٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي،(بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م)، جـ٣، ص٣٠٣؛ الغامدي، سعد بن حذيفة، **الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند وتاريخ الدول الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي (٩٢ – ٦٢٩هـ/ ٧١١ – ١٢٣١م)**، (الرياض: دار إشبيليا، ط١، ١٩٩٦م)، ص٢٠.)

الهند، وقد شجع على الهجرة إليها ما اشتهرت به من كنوز وخيرات، ما أدى إلى اختلاف السكان في اللغة والدين والأعراق[١].

- سكان الهند قبل الفتح الإسلامي:

لم يصل الباحثون إلى أصل سكان الهند على وجه التحقيق، ولكن الثابت أنه ورد على الهند هجرات مختلفة قادمة من الشمال .هم من مثل سكان الهند عند الفتح الاسلامي. وأقدم من سكن الهند في الغالب قوم غلب على بشرتهم السواد وذلك لسكنهم في مناطق حارة في الهند وقد استقروا في الغابات ثم انحدروا إلى إلى المنطقة الجبلية في الوسط ثم إلى جنوب الهند، ولا تزال لهم بقايا منعزلة تسكن وسط الهند حالياً[٢].

كما قدم إلى الهند في عصور ما قبل التاريخ هجرات تورانية منحدرين من الشمال، واستقروا في ولاية السند، ودفعوا بالسكان السود باتجاه المنطقة الجبلية في الوسط[٣].

ثم قدمت هجرات من أواسط أسيا قبل الميلاد بنحو ألفي سنة، وقيل قبل أكثر من أربعة ألاف سنة، وهم العنصر الآري الأبيض، وهي أكثر الهجرات عدداً قدموا الهند من الجهة الشمالية الغربية، وانحدر أمامهم العنصر التوراني إلى غرب الهند وجنوبها، ثم أوغل العنصر الآري تدريجياً داخل الهند[٤].

(١) الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، **بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى التقسيم (٩٢ – ١٣٦٦هـ/ ٧١١ – ١٩٤٧م)**،(القاهرة: دار الفكر العربي، ط٢، ٢٠٠٥م)، ص١٢٧؛ لوبون، جوستاف، **حضارة الهند**، ترجمة :عادل زعيتر، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت)، ص١٠٥.

(٢) الساداتي، أحمد محمود، **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وباكستان وحضارتهم**، (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٥٧م)، ص٧.

(٣) الساداتي، أحمد محمود، **تاريخ المسلمين**، ص٧؛ لوبون، **حضارة الهند**، ص١٠٥.

(٤) أرنولد، توماس، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة:حسن إبراهيم حسن، وعبدالمجيد عابدين، وإسماعيل النحراوي، (مصر، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م)، ص٢٨٦ الفقي، بلاد الهند، ص٣٦٥؛ النمر، عبد المنعم، **تاريخ الإسلام في الهند**، (د.م، دار العهد الجديد، ط١، ١٩٥٩م).

- **العرب:**

ترجع صلات العرب والهنود إلى ما قبل الإسلام عبر الرحلات التجارية الواردة من اليمن وحضرموت وعُمان جنوب الجزيرة العربية، وغيرها من البلاد العربية إلى السند، وقد أقامت بعض الجاليات العربية في الهند وكان لهم مكانتهم نظراً لسمو العادات والتقاليد التي تحلو بها في معاملاتهم، وقد زادت هذه المكانة بعد ظهور الإسلام واطلاع الهنود على مبادئه التي تطبع بها التجار العرب والمسلمون. ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين قد وردوا إلى الهند، وحتى عهد الدولة الأموية والعباسية لأداء أمانة الدعوة إلى الله(١).

وقد استقر العرب بعد الفتح الإسلامي للسند في المدن التي اختطوها(٢)، ثم انتشروا في المدن الهندية القديمة التي صالحت العرب(٣). وشارك العرب في الأحداث العسكرية فكانوا

---

(١) إبراهيم، سمير عبد الحميد، **الأدب الأردي الإسلامي**، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،د.ت)، ص١٣؛ تابارا، روميلا، **تاريخ هند**، ترجمه: إلى الفارسية همايون صنعتي زاده، (إيران: نشر أديان، ط١، ١٣٨٦هـ.ش)، ص٣٧٤؛ الساداتي، **تاريخ المسلمين**، ص٢٠؛ السورتي، عبد الله بن إسماعيل،" أضواء على تاريخ الحركة العلمية والمعاهد الإسلامية والعربية في غجرات الهند" **مجلة التربية**،(العدد السابع والثمانون – محرم ١٤٠٩هـ / أغسطس ١٩٨٨م)، ص٧٣؛ مرزوق، أحمد إبراهيم، **إقليم الهند الإسلامي منذ الفتح الغزنوي حتى نهاية دولة مماليك الهند (٣٦٦ – ٦٨٦هـ/ ٩٧٦ – ١٢٨٧م)**، بحث ماجستير غير منشور،(جامعة المنيا، كلية دار العلوم، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص١؛ الهندي، محمد يوسف، "بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب" **مجلة كلية الآداب**،(جامعة القاهرة: المجلد الثاني عشر، جـ١، عدد مايو ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م)، ص٩٧-٩٨.

(٢) مثل مدينتي المحفوظة، والمنصورة التي بنيت في إقليم السند في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ومدينة البيضاء التي أسست في عهد الخليفة المعتصم بالله العباسي على نهر السند. (انظر؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت/٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان**، تحقيق: عبدالقادر محمد علي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢٠٠١م)، ص٢٦٤؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت/٢٩٢هـ)، **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق: خليل منصور، (بيروت، دار الكتب العلمية،٢٠٠٢م) ج٢، ص ٢٢٧،٢٢١، الفقي، **بلاد الهند**، ص١٥.)

(٣) مثل مدينة بيرون، وسدوسان، وساوندري وكلها مدن في اقليم السند. (البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٤٣-٤٤٤؛ حسن محمود، **الإسلام والحضارة العربية**، ص١٨٠).

من ضمن جيش السلطان ناصر الدين محمود بن السلطان التمش سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)[١].

وصل إلى بلاط السلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٤هـ/١٢٦٦-١٢٨٥م) في دهلي أمراء عرب بعد غزو المغول لبلادهم، وكانوا من العراق ومنهم بعض ذرية الخلفاء العباسيين، وقد خُصِّص لهم حيٌّ مستقل وهو الحي العباسي، وحي للعلوية من السادة والأشراف، والحي اليمني لمن قدم من اليمن، وآخر لمن وصل للهند من مدينة الموصل في بلاد العراق[٢].

نال العرب التكريم والمحبة والإعزاز حتى أن السلطان محمد تغلق شاه (٧٢٥ – ٧٥٢هـ/ ١٣٢٥ – ١٣٥١م) كان يطلق على الغرباء في الهند – ومنهم العرب – الأعزة[٣] حتى لا تنكسر أنفسهم وقد خرج السلطان محمد تغلق لاستقبال الأمير غياث الدين العباسي سنة (٧٤٧ هـ/١٣٤٦ م) [٤]، وأكرمه وأقطعه مدينة سيري[٥] وعدة قرى شرق

---

(١) فرشته، محمد قاسم بن غلام (ت/١٠١٥هـ)، **تاريخ فرشته أز آغاز تابابر**، (طهران: مؤسسة أنجمن آثار ومفاخر فرهنكي، نسخة إلكترونية محملة، من مكتبة كتبخانة ديجتال نور، د.ت)، جـ١، ص٢٦١.

(٢) الدهلوي، يحيى بن أحمد السهرندي (ت/٨٣٨هـ)، **تاريخ مباركشاه**، تصحيح: محمد هدايت، (د.م، كتابخانة ديجتالي نور، د.ت)، جـ١، ص٣٨؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٦٨.

(٣) وهم الغرباء من الخرسانين والعراقيين والشاميين والمصريين والمغاربة، وكانوا في الهند يُسمون جميع الغرباء خراسانين.(ابن بطوطة،الرحلة، ج٢، ص٦٢) .

(٤) الأمير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبد العزيز ابن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي،وقد كتب السلطان كتابا إلى الأمير غياث يدعوه لزيارة بلاد الهند وأقطعه إقطاعا شرق بلاد الهند .(ابن بطوطة، **الرحلة،** جـ٢، ص٧٢ ؛أكبري، نظام الدين محمد مقيم(ت/١٠٠٣هـ)،**المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني** (ترجمة كاملة لكتاب طبقات أكبري)،ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي،(مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٥م)ج١،ص١٧٨؛فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٦٧).

(٥) مدينة سيري :بقايا دهلى القديمة، وتسمى دار الخلافة وقد اتخذها السلطان علاء الدين الخلجي مقر له بعض فترة حكمه . (ابن بطوطة، **الرحلة،** جـ٢، ص٣٤.)

دهلي، وجعل له الخدم والجواري، والدواب، وأمر الناس جميعاً أن يخدموا له كما يخدموا للسلطان[١].

وقد كان يلقب كل من ينتمي إلى سلالة الخلفاء العباسيين بلقب (مخدوم زادة) أي الأمير[٢]. والذي كان قائد لطلائع بني العباس في الولاية إلى الهند، وقد قدم إلى الهند مرتين إلى ثلاث مرات في عهد السلطان محمد تغلق شاه، وكان السلطان محمد شاه يخرج لاستقباله والترحيب به، وخصص له المال، وإحدى الإقطاعيات، وقصراً وغيرها من الإنعامات، وكان الأمير البغدادي كلما أراد الالتقاء بالسلطان، يخرج السلطان، ويتقدم لاستقباله، ويجلسه أمامه ويتأدب معه غاية الأدب[٣]. واستمر في عهد السلطان فيروزشاه (٧٥٢ – ٧٩٠هـ/ ١٣٥١ – ١٣٨٨م) [٤].

ولكرم وجود السلطان محمد شاه وفد إلى بلاطه العظماء والكبراء والفضلاء والمنكوبون من عدة أقطار منهم العرب في العراق والجزيرة العربية[٥]، وذكر ابن بطوطة أنه لقي في مدينة سيوستان[٦] الشيخ محمد البغدادي، والذي كان يسكن بإحدى الزوايا وكان

---

(١) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٧٢؛ أكبري، **طبقات أكبري**، ج١، ص١٧٨؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٦٧.

(٢) النصيري، شمس سراج عفيف محمد رضا (عاش في القرن الثامن الهجري)، **تاريخ فيروزشاهي**، (أساطير، نسخة محملة من مكتبة نور الرقمية)، ص٢٧٤؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٨٦.

(٣) النصيري، **تاريخ فيروزشاهي**، ص٢٧٤-٢٧٥؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٦١؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٦٧ – ٤٦٨.

(٤) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٦٧ – ٤٦٨.

(٥) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٧٢ -٧٣؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٤٧.

(٦) سيسوتان: مدينة كبيرة بعد مدينة جناني، التابعة لسلطان دهلى، ذكر محقق الطبعة أنها تقع اليوم في باكستان الغربية.، (ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص١٣.)

رجلاً معمراً، وكذلك خطيب المدينة المعروف بالشيباني والذي كان بحوزته كتاب من الخليفة عمر بن العزيز الأموي لجده بتولي خطابة الجامع بهذه المدينة. ومنهم الشيخ العالم ركن الدين بن الشيخ الفقيه شمس الدين بن بهاء الدين زكريا القرشي، لقيه في مدينة جناني إحدى مدن السند[١]، كما لقي تاجر عراقي يعرف بمحمد الدوري، وكان من كبار التجار اشترى منه فرساً وجملاً عليه حمل من النشاب[٢].

وبهذا يكون بدء استقرار العرب في الهند قبل الإسلام للتجارة، واستمر ورود العرب إلى الهند لأداء أمانة نشر الإسلام في الأمصار القريبة والبعيدة عن الجزيرة العربية، فكان منهم التجار، ومنهم العلماء، ومنهم الجماعات الفارة من الغزو المغولي، ووجدوا كل تكريم وتقدير من سلاطين دهلي، وكان بداية استقرارهم في المدن التي اختطوها ثم انساحوا في بقية المدن الهندية وخاصة مع زيادة الفتوحات الإسلامية.

- الترك:

كان للترك أثر كبير في جميع المناشط، فقد كان سلاطين دولة المماليك والدولة التغلقية ترك من تركستان[٣]، من قبيلة البري والتي ينسب إليها السلطان شمس الدين ألتمش

---

(١) جناني: مدينة تقع غربي نهر مهران في إقليم السند.(الإصطخري، أبو القاسم إبراهيم بن محمد (ت/٣٥٠ هـ)، **المسالك والممالك**، تحقيق: محمد جابر عبدالعال الحسيني، (القاهرة، دار القلم، د.ط، ١٩٦١ م) ص١٠٤.)

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص١٠، ١٣.

(٣) تركستان: اسم جامع لبلاد الترك وحدودهم الصين والتبت، أول حدودهم مع السلمين فأراب، ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة. (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ٢، ص٢٧).

(٦٠٧ – ٦٣٣هـ/ ١٢١٠ – ١٢٣٦م)[١]. والأتراك القراونة الذين يسكنون الجبال الواقعة بين السند والترك وتنسب إليها الأسرة التغلقية[٢].

وقد اضطر سلاطين هذه الدول الاستعانة برجال يثقون بهم للنصح والمعاونة، وحيث إن هؤلاء السلاطين يحكمون بلاد غير بلادهم، فلا يمكنهم أن يثقوا في أهلها أو أن يعتمدوا عليهم، لذلك فضلوا أن يختاروا مساعديهم ومستشاريهم من الأتراك على أساس الكفاءة والولاء والاستحقاق وحسن المسلك[٣].

وقد تدرج معظمهم في الأعمال المختلفة فكانوا يعملون في القصور السلطانية، ونظراً لما يبدونه من انضباط ومهارات ترقوا لتولي مناصب حتى وصلوا إلى مكانة الأمراء والحكام، وحصلوا على الإقطاعات حتى وصلوا إلى الطبقة النبيلة؛ ومن ثم يكون لهم دور مهم في الأوضاع السياسية، ونظراً لاتساع الدولة الإسلامية في الهند وضم مناطق جديدة، وحاجة السلاطين للدفاع عن ممتلكاتهم ضد المغول فقد تزودوا بأعداد من الأتراك ومنهم فرقة الأربعين[٤] أو ما يسمون "بالخواجة تاش" وهم الأتراك الذين قربهم السلطان ألتمش،

---

(١) شمس الدين ألتمش: يعد المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في الهند، وكان الابن المفضل عند والده ايلام خان ولهذا تخلص منه إخوته وباعوه لتاجر الرقيق، ثم تناقله التجار حتى اشتراه قطب الدين أيبك ونقله إلى دهلي . (منهاج سراج، منهاج الدين عثمان الجوزجاني (ت/٦٦١هـ)، **طبقات ناصري**، ترجمة: عفاف السيد زيدان، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٣م)، جـ١، ص٦١٦؛

Zakaullah, Mahamooda, **The Mamlok Dynasty of India**, (University of Al-Exandria, Faculty of Arts, Department of History) pp.64-65).

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٣٥.

(3) Zakaullah, **The Mamlok**, p.250.

(٤) فرقة الأربعين: سموا فرقة الأربعين لأن عددهم أربعون مملوكاً عندما قربهم السلطان ألتمش .(باربي، ضياء الدين (ت/٧٥٨هـ)، **تاريخ فيروزشاهي**، (الهند:د.ن.ت) ص ص٦٠، ٦٩؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص ص٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٦١، ٢٧٧).

واقتسموا بلاد الهند بعد وفاته، وكانوا ملتزمين فيما بينهم أنهم رفقاء، ولكنهم بعد ذلك تركوا الاتفاق وعملوا لمصالحهم الشخصية، وقد أطاح بهم السلطان بلبن (٦٦٤ – ٦٨٩هـ/ ١٢٦٦ – ١٢٩٠م) بعد أن شعر بخطرهم على دولته[١]. مثلما فعل طغرل التركي حاكم ولاية لكهنوتي الذي خرج سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) على السلطان بلبن، وقد انضم إليه بعض الأمراء والجنود لكثرة عطائه وإغداقه للأموال، وقد أمر السلطان بلبن بتكليف الملك "ترمني التركي" [٢]بمواجهة طغرل وردعه، ولكنه لم يُوفق في ذلك، فاضطر السلطان للسير إليه بنفسه وتخلص منه[٣].

عند خروج ابن بطوطة من مدينة "أبو هر" [٤]، كان برفقة جماعة من العرب والترك، فخرج عليهم في الصحراء قطاع طرق، وحققوا انتصاراً، عليهم وكان مما أصيب فرسُ لأحد أصحابهم فذبحوها وأكلها الترك من رفاق ابن بطوطة[٥]. كما ذكر أنه في مدينة دهلي عمل بعض الترك في تجارة الرقيق في فترة حكم السلطان محمد تغلق شاه (٧٢٥-

(١) باربي، **تاريخ فيروزشاهي**، ص٦٠، ٦٩؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٦١، ٢٧٧.

(٢) ترمني التركي :أحد القادة الأتراك وقد عينه السلطان بلبن على ولاية لكهنوتي بدل من ايتكين أمين خان ملك أوده الذي وجهه السلطان بلبن لمواجهة طغرل ولكنه هَزم فقتله السلطان وعين ترمني . (باربي، **تاريخ فيروشاهي**، ص١٥٠؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص٨٩؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٨٤).

(٣) باربي، **تاريخ فيروشاهي**، ص١٥٠؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص٨٩؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٨٤؛ العبادي، مختار، "دولة سلاطين المماليك والأتراك في الهند وأوجه الشبه بينها وبين دولة المماليك الأولى في مصر" **المجلة التاريخية المصرية**، (المجلد الثاني عشر، ١٩٦٤م – ١٩٦٥م)، ص١٢٦.

(٤) أبوهر: بالقرب من مدينة ملتان، وهي مدينة صغيرة كثيرة العمران، وبها أنهار وأشجار. (**الرحلة**، جـ٢، ص٢١).

(٥) **الرحلة**، جـ٢، ص٢٥.

٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥١م)[١]. وبهذا فقد شكل الأتراك قوة حاكمة في سلطنة دهلي خلال هذه الفترة.

- **الأفغان:**

لم تكن علاقة هذا العنصر ببلاد الهند حديثة في عهد سلطنة دهلي، فقد ورث الغور[٢] الأفغان الدولة الغزنوية[٣] ومنها ممتلكاتها في بلاد الهند وكان السلطان قطب الدين أيبك مملوكاً وقائداً للسلطان شهاب الدين الغوري في بلاد الهند[٤]، وقد شارك الأفغان في جيش السلطان ناصر الدين محمود (٦٤٤ – ٦٦٤هـ/ ١٢٤٦ – ١٢٦٦م)[٥]. وفي عهد السلطان محمد تغلق شاه (٧٢٥-٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥١م) خرج سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) القائد شاهو الأفغاني[٦] وأعلن تمرده وعصيانه وقتل نائب السلطان محمد تغلق

---

(١) **الرحلة**، جـ٢، ص٣٨.

(٢) بلاد الغور: تقع بلاد الغور بين هراة وغزنة، وعاصمتها فيروز كوه في أفغانستان الحالية. (ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٢٢).

(٣) عاصمتها غزنة وامتد حكمها (٣٥١ – ٥٧٩هـ/ ٩٦٢ – ١١٨٣م).(منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٣٦٢-٣٨٢؛ الفقي، **بلاد الهند**، ص١٦-٣٤.)

(٤) شهاب الدين محمد سام الغوري (٥٩٩-٦٠٢ هـ/١٢٠٢-١٢٠٦ م)، أحد سلاطين دولة الغور وكانت مدة حكمه اثنين وثلاثين عاماً وثمانية أشهر، وكان امتداد حكمه في غزنة وخراسان والهند (منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٥٧٨؛ الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١٤؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص٣١-٤٦؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٢٠- ٢٢٤؛ الفقي، **بلاد الهند**، ص٣٤).

(٥) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦١.

(٦) شاهو الأفغاني خرج على السلطان في ولاية السند وقتل الوالي فيها، وتلقب بالسلطان. (ابن بطوطة،**الرحلة**،ج٢، ص١٠٢).

شاه في الملتان[١]، فخرج السلطان محمد تغلق شاه لمواجهته وما إن اقترب منه حتى أرسل إليه شاهو الأفغاني رسالة عبر فيها عن ندمه، وغادر إلى بلاده[٢].

وقد شكل الأفغان في الهند مجموعة عُرفوا بأمراء المائة[٣] وزاد نشاطهم في عهد السلطان محمد تغلق شاه ففي سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥ – ١٣٤٦م) خرج على شاه أحد أمراء المئة والذي جمعهم ومنهم حسن جانحو [٤] وأغار على بعض النواحي الخالية من العمال والولاة في ولاية مَالْوَهْ[٥] بغرض تحصيل الأموال، وقد أرسل له السلطان محمد تغلق شاه بعض قادته حققوا الانتصار على هذا الأمير الأفغاني، وألقوا القبض عليه وأرسلوه

---

(١) الملتان: قاعدة بلاد السند، ومقر إقامة أمرائها، وتقع شمال غرب الهند (ياقوت، **معجم البلدان**، جـ٥، ص٢١٩؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ١، ص١٩).

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص١٠٢؛ أكبري،**طبقات**،ج١، ص٣٧١-٣٧٢؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٦٠ - ٤٦١.

(٣) أمراء المائة: ويسمى بالفارسية أمير صده أو اليوزباشي وهو رئيس لمائة من الافغان وذلك سبب تسميتهم بأمراء المائة (الدهلوي، **مباركشاه**، جـ١، ص١٠٨؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٦١؛ أكبري، طبقات أكبري، ج١،ص١٧٩،٩؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٦٥).

(٤) حسن جانحو: مؤسس مملكة اليهماني فيما بعد في الدكن جنوب بلاد الهند (الندوي، عبد الحي فخر الدين (ت/١٣٤١هـ)، **الثقافة الإسلامية في الهند**، **"معارف العوارف في أنواع المعارف"**، راجعه: أبو الحسن علي الندوي، (دمشق، د.ن، ١٩٨٣م)، ص١٠).

(٥) مَالْوَهْ : ولاية فسيحة تقع شمال بلاد الهند وسكانها من القبائل الوثنية، من أشهر مدنها جنديري ومندو وأُجين وآشته.(ابن بطوطة،**الرحلة**،ج٢،ص٤٥؛ الحسيني، **الأعلام في تاريخ الهند من أعلام المسمى نزهة الخواطر ومهجة المسامع والنواظر**، (بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٩م)، جـ٢، ص٢٠٥؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٣٧٠؛ الندوي،**الهند في العهد الاسلامي**، راجعه: أبو الحسن علي الندوي (الهند، دار عرفات، ٢٠٠١)، ص ٨٥).

وبعض من معاونيه إلى السلطان محمد تغلق شاه الذي نفاهم إلى بلادهم، وذلك لأنهم دخلوا بلاد الهند بدون إذن، ولهذا عجل لهم عقوبتهم[١].

وعندما وصل عزيز الخمار[٢] إلى مالوه ألقى القبض على بضعة وثمانين من أمراء المئة الحاصلين على رتبة اليوزباشي (رئيس المائة)، وضرب أعناقهم. وعندما وصلت هذه الأخبار إلى السلطان محمد تغلق عد ذلك قمة الإخلاص والولاء للدولة. وقد أثار هذا التصرف أمراء المئة في الدكن الكَجْرات[٣] واستجمعوا قواهم، وتربصوا لاقتناص الفرصة والوقت المناسبين للانتقام من قوات الدولة التغلقية، فاستغلوا خروج نائب السلطان الملك مقبل خان جهان[٤] من ولاية الكجرات فشن أمراء المئة الإغارة وسلبوا أموال التجار وبضائعهم، ولم يسلم أحد من أذاهم[٥].

ولهذا خرج السلطان محمد تغلق شاه سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) لمواجهة أمراء المئة، وعندما وصل السلطان حدود الكجرات أرسل بعض أمرائه لمواجهة من بقي من أمراء المئة في

---

(١) الدهلوي، **مباركشاه**، جـ١، ص١٠٨؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٦١؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٦٥.

(٢) عزيز الخمار: أحد الأرذال الذين قربهم السلطان محمد تغلق شاه وولاه ولاية مالوه نكاية في بعض الأمراء المقربين إليه توفي سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، والأرذال هم الطبقة الدنيا في المجتمع الهندي (فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٧٠؛ كما سيرد عند الحديث عن طبقات المجتمع ص١٣).

(٣) الكجْرات: ولاية تقع على ساحل بحر العرب جنوب غرب بلاد الهند، من أشهر مدنها سومنات و نهروالة وأحمد أباد. (الندوي، **الهند في العهد الاسلامي**، ص ٨٥؛ مؤنس، حسين، **أطلس تاريخ الإسلام** (القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤٠٧هـ، ص ٢٤٦).

(٤) مقبل خان جهان: نائب السلطان محمد تغلق شاه في ولاية الكجرات (الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، ج١، ص١١١؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٧١).

(٥) الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١١١؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٧١.

الكجرات، ولاحقوهم حتى قتلوا أغلبهم، وأسروا أولادهم وخدمهم، أما الشرذمة التي تمكنت من الفرار، فقد كلف السلطان محمد تغلق شاه بعض أمرائه بملاحقة الفارين من أمراء المئة في أطراف الهند، ولخشية أمراء المائة من بطش السلطان فروا إلى الكجرات مرة أخرى وأجمعوا على اختيار أحدهم ويسمى إسماعيل مخ الأفغاني — والذي اتصف بالعقل والمروءة — ورفعوه إلى مرتبة السلطنة، ولقبوه بلقب السلطان نصير الدين؛ ولهذا قرر السلطان مواجهتهم والتقى الطرفان، وكادوا أن ينتصروا على جيش السلطان محمد تغلق، ولكنهم قرروا أن يتفرقوا ما بين الكجرات والدكن حتى تهدأ الأمور ثم يعودوا لممارسة نشاطهم[١].

أما السلطان فيروزشاه التغلقي (٧٥٢ — ٧٩٠هـ/ ١٣٥١ — ١٣٨٨هـ) فقد اتبع سياسة مخالفة تماماً لسياسة محمد تغلق شاه، فهو أول سلطان من سلاطين دهلي يهتم برعاية الأفغان، فقد اعتمد عليهم، ورقى أمراء المئة الذين كانوا في عهد السلطان محمد تغلق وجعلهم من كبار الأمراء في دولته، حيث سلمهم المناطق الحدودية، وقد حصل على خدمات جليلة للدولة، ولم تكن للأفغان هذه المرتبة والمنزلة في أي وقت مضى[٢].

— المغول[٣]:

هم شعب أشبه بالترك في اللغة والمظهر العام، وكانت بلادهم صحراء؛ ولذا عاشوا في شظف من العيش والبداوة، وكثرت إغارتهم على المناطق المجاورة لهم، ومنها بلاد الهند فقد سمعوا

---

(١) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص١٠٣؛ الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ٢، ص١١٢؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٦٢-١٦٣؛ أكبري، **طبقات أكبري** ، ج١، ص١٨٣؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٧٢-٤٧٥.

(٢) النصيري، **تاريخ فيروز شاه**، ص٢٧٠-٢٧٣؛ أكبري، **طبقات أكبري**، ج١،ص٤٣٦؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٥٠١؛ تابار، **تاريخ هند**، ص٣٧٥.

(٣) يرجع ظهور المغول إلى نهاية القرن السادس الهجري في هضبة منغوليا شمالي صحراء جوبي في أواسط آسيا جنوبي سيبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا، وشرقي التركستان. (الغامدي، **المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية**، (الرياض، د.ن.ط١، ١٩٩٠م)، ص١٢؛ محمد، محمد أحمد، **دخول مغول العراق وفارس في الإسلام**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٨م)، ص٨).

عن ثرواتها. ولذا تعرضت بلاد الهند للغزو المغولي خلال هذه الفترة حتى تمكنوا من القضاء على الدولة التغلقية (٨١٥هـ/ ١٤١٢م)(١). والحديث هنا عن المغول بوصفهم عنصراً قاطناً في بلاد الهند.

فمن الأسر المغولية التي عاشت في الهند الأسرة الخلجية والذين يُنسبون إلى "قلبج خان" أحد أصهار جنكيز خان – القائد المغولي، وقد دخلوا الإسلام فترة الدولة الغزنوية، وأسهموا في فتح الهند؛ فقد كان محمد بختيار الخلجي أحد قادة الفتوحات الإسلامية في الهند في عهد الدولة الغورية. ثم أقاموا لهم دولة في بلاد الهند بعد دولة المماليك (٦٨٩ – ٧٢٠هـ/ ١٢٩٠ – ١٣٢٠م) (٢).

وقد انخرط المغول في الجندية خلال حكم المماليك (٦٠٢-٦٨٩ هـ/١٢٠٦-١٢٩٠ م)، ففي أحداث سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٨م) استعرض السلطان المملوكي ناصر الدين محمود (٦٤٤-٦٦٤هـ/١٢٤٦-١٢٦٦م) قواته -أمام رسول ورد من المغول- التي ضمت بعض المغول الخلج (٣). كما استقر في الهند خلال حكم السلطان بلبن (٦٦٤ – ٦٨٤هـ/ ١٢٦٦ – ١٢٨٥م) بعض من أمراء المغول، وقد أبيدوا في عهد السلطان المملوكي كيقباد بن ناصر الدين حفيد السلطان بلبن (٦٨٤ – ٦٨٩هـ/ ١٢٨٥ – ١٢٩٠م) بتهمة التجسس لصالح المغول خارج بلاد الهند، وخشي منهم لزيادة أتباعهم والمؤيدين لهم، بل

---

(١) الفقي، **بلاد الهند**، ص١٢٧-١٥١.

(٢) منهاج سراج، **طبقات ناصري**، ج١، ص٥٩٨؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٤٥ – ٥٢؛ الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص٥٣-٩٦؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٢٦-١٣٥؛ البهكري، سيد محمد معصوم (ت/١٠١٩هـ)، **تاريخ السند المعروف بتاريخ معصومي**، تصحيح :عمر محمد داؤد، (تهران: انتشارات أساطير، ١٣٩٣م)، ص٤٢-٤٣؛ تابار، **تاريخ هند**، ص٣٦٣ – ٣٦٩؛ النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص١١٧-١٢٣.

(٣) فرشته، تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٦١.

وقضى على بيوتهم ونهب ثرواتهم، وحبس الأمراء البلبنيين الذين يمتون بصلة قرابة أو صداقة لأمراء المغول ونفاهم في بعض القلاع النائية(١).

وفي أحداث (٦٩١هـ/ ١٢٩١م) هاجم المغول بلاد الهند، وقد واجههم السلطان جلال الدين الخلجي (٦٨٩ – ٦٩٥هـ/ ١٢٩٠ – ١٢٩٥م) وحقق انتصاراً ساحقاً، ووقع في الأسر اثنان من قادة المغول، وكان أحدهم مقرباً من هولاكو – قائد المغول – وقد قربه السلطان جلال الدين وعده ابناً له، وكان القائد المغولي يدعو السلطان جلال الدين بأبي(٢). كما انضم "آلغون" حفيد جنكيزخان إلى السلطان جلال الدين ومعه ثلاثة أو أربعة آلاف مغولي بزوجاتهم وأولادهم، وأعلنوا دخولهم الإسلام بل وصاهر السلطان، وقد حدد السلطان جلال الدين مكان إقامتهم فسكن القائد المغولي وسائر أمراء المغول وجنودهم وأسرهم في منطقة ضواحي "غياث بور"(٣) حيث قامت تلك الطائفة ببناء منازلها ومساكنها وعماراتها، وأطلقت على تلك الناحية اسم "مغول بور" واشتهروا باسم "نومسلمان" أي المسلمين الجدد(٤).

وقد أكرم السلطان تغلق شاه (٧٢١ – ٧٢٥هـ/ ١٣٢١ – ١٣٢٥م) خلال سلطنته الأرامل والمطلقات والمعدمين الذين كانوا يفدون من بلاد المغول وغيرها من البلاد(٥).

---

(١) الدهلوي، تاريخ مباركشاه، جـ١، ص٥٣ – ٥٤؛ بدواني، منتخب التواريخ، جـ١، ص١٧؛ فرشته، تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٠٣-٣٠٤؛ Zakaullah, **The Mamlok,** p.254

(٢) فرشته، تاريخ فرشته، جـ١، ص٣٣٥

(٣) غياث بور: تقع على نهر الكنج، وقد بناها السلطان بلبن سنة (٦٧٩هـ/١٢٨٠م)وبقيت هذه المدينة عامرة إلى عهد الدولة التغلقية (فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٣٣٥؛ الجوارنه، أحمد، **عالمكبرالأول"أورنجزيب"إمبراطور الهند الكبير**، (الأردن، دار الخليج، ط١، ٢٠١٨م)، ص١٦٥-١٦٦.

(٤) بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١١٩؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٣٣٥.

(٥) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٤٧.

وبهذا يكون وجود العنصر المغولي منذ نشأة سلطنة دهلي الإسلامية، وحتى قيام دولة المغول في الهند بعد إسقاط الدولة التغلقية(١).

- **الفرس والروم:**

وردت في بعض المصادر بعض الإشارات(٢) التي تؤكد وجود العنصر الفارسي والرومي في بلاد الهند ومنها انضمامهم إلى الجيش المملوكي، كما ورد إلى الهند في عهد السلطان ناصر الدين محمود (٦٤٤ – ٦٦٤هـ/ ١٢٤٦ – ١٢٦٦م) أمراء وملوك من بلاد العراق (العجمي والعربي) وخراسان وما وراء النهر وعاشوا في كنف السلطان ناصر الدين محمود بعد هجوم جنكيز خان على بلادهم، وقد خصص لهم السلطان بلبن أحياء خاصة بهم منها الحي العباسي والخوارزمشاه والسنجري والديلمي وغيرها من المسميات التي تنسب لمواقعهم الأصلية، فكانوا من تركستان وبلاد ما وراء النهر وخراسان والعراق وفارس والروم والشام(٣). وقد شملهم كرم السلطان محمد تغلق شاه ولطفه الذي اهتم بالغرباء فكان يسميهم الأعزة(٤).

وكان أهل فارس يباشرون نشاطهم التجاري عن طريق البحر إلى مدينة لأهري(٥) على نهر السند، كما سكن مدينة سيوستان(٦) الأمير قيصر الرومي(٧) والذي كان يعمل في خدمة السلطان

---

(١) تابار، **تاريخ هند**، ص٣٧٦.

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص ١٤؛ ٢٨؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٧ ؛ الفقي، بلاد الهند، ص١٣٨؛ Zakaullah, **The Mamlok,** p.191.

(٣) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٧.

(٤) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٦٧؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٤٧.

(٥) لأهري: مدينة كبيرة على البحر وفيها يصب نهر السند، تقع حسب ما أورده محقق كتاب رحلة ابن بطوطة على نهر لاهور جنوب شرق كراتشي (ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص١٧).

(٦) سيوستان: مدينة تقع في إقليم السند غرب نهر مهران (الأصطخري، **المسالك**، ص١٠٤؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٦٠).

(٧) قيصر الرومي: أمير للسلطان محمد تغلق شاه على سيوستان وقد خرج على السلطان لأنه عين أحد كفار الهنود على سيوستان وكان مصيره القتل لتمرده (ابن بطوطة، **الرحلة**، ج٢، ص ١٤).

محمد تغلق شاه. وكان خواجه جهان الرومي[١] وزيراً للسلطان محمد تغلق شاه[٢]، وفي مدينة بكار[٣] لقي ابن بطوطة الشيخ العابد الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي وهو من المعمرين، فكان عمره يزيد على مائة وعشرين عاماً[٤]. وبهذا كان الوجود الفارسي والرومي أقل بكثير من بقية العناصر الأخرى، ولم يرد في المصادر أي ثورة أو مخالفة لهذين العنصرين ضد السلطنة، ولذا نالوا التقدير من سلاطين دهلي.

ب- طبقات المجتمع

كان المجتمع الهندي في عهد سلطنة دهلي يتألف من ثلاث طبقات متباينة، أولها الطبقة العليا التي تتألف من السلاطين ومن حولهم من الأمراء والحجاب، والوزراء، وكبار رجال الدولة، وسلالة الملوك والحكام الهنود القدامى، وكانت بأيديهم الثروات وهم أصحاب السيطرة والسطوة، ويتمتعون بالترف والنعيم من خيرات البلاد، وقد وردت إشارات واضحة لهذه الطبقة فمثلاً عندما تولى السلطنة جلال الدين الخلجي (٦٨٩-٦٩٥هـ/١٢٩٠-١٢٩٥م) أورد فرشته "ولما انتشر أمر تدين السلطان جلال الدين وحلمه، وحيائه وعدله، وذاع صيت ذلك عند أعيان دهلي وكبرائها، وهم الذين يستنكفون عن خدمة الخلجيين ويستقبحون ذلك، ارتضوا بسلطنته.."[٥]. وعندما تولى السلطان علاء الدين

---

(١) الوزير خواجه جهان: اسمه أحمد إياس الرومي الأصل، عند ما وصل ابن بطوطة إلى مدينة مسعود أباد كان الوزير من يدبر الأمور نتيجة خروج السلطان إلى مدينة قنوج (ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٢٨).

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص١٤، ٢٨.

(٣) بكار: مدينة حسنة يشقها خليج من نهر السند، تسمى اليوم حسب ما أورده محقق كتاب ابن بطوطة ببخر وهي جزيرة في نهر الهند. (ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص١٧).

(٤) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص١٨.

(٥) **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٣١٨.

الخلجي(٦٩٥-٧١٦هـ/١٢٩٦-١٣١٦م) "... رقى سائر رفاقه الذين لم يكونوا أمراء وأوصلهم إلى درجة الإمارة ورفع مراتبهم ودرجاتهم وضاعف إقطاعياتهم.."[(١)]. كما تولى السلطان محمد تغلق السلطنة سنة (٧٢٥هـ /١٣٢٥ م) بإجماع من كبار الملوك والأمراء. وكان العظماء والكبراء والفضلاء والمنكوبين يتوافدون إلى الهند رجاء أفضاله وأعطياته [(٢)]، وعندما تولى السلطان فيروزشاه سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م) كرَّم الأمراء والملوك والمشايخ والعلماء، وأنعم عليهم بالخيل والسيوف..)، وكان يستشيرهم في أمور الدولة[(٣)].

ولكن هذه العلاقة ما بين السلطان والطبقة العليا ليست دائمة على نفس الوتيرة؛ وذلك أن السلطان محمد تغلق شاه في بعض فترات حكمه أولع برعاية الأراذل والوضعاء لأنهم لا يتعدون أوامره، واستبعد الأمراء وأولي العلم والعقل الذين كانوا ينتقدون بعض الأوامر غير المدروسة من السلطان، ما يتعلق بسفك الدماء خاصة، فكانوا يمتنعون عن تنفيذ تلك الأوامر، ويتغافلون عنها، ولهذا دار في نفسه أنه ليس له قدر ولا قيمة في قلوبهم، ولا يقيمون لكلامه وزناً، لكونهم من عِلِيَة النبلاء، فلا بد من تقريب جماعة من الأراذل واللئام ورفعهم ليضمن ولاءهم[(٤)].

وفي سنة (٧٧٩هـ/ ١٣٣٧م) أقدمت فئة من ملاك الأراضي في بعض الإقطاعيات – خلال عهد السلطان فيروزشاه – على التمرد والعصيان، فغضب السلطان وتوجه إليهم

---

(١) الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص٧١؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٢٦؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٣٥٣.

(٢) بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٥٦؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٤٦-٤٤٧.

(٣) النصيري، ص٤٤؛ الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١١٨؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٨٣ - ٤٨٤.

(٤) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٧٠-٤٧١.

بنفسه، ونشب القتال بينهم، وحقق السلطان الانتصار عليهم، ولاذوا بالفرار، ومن وقع في الأسر نال جزاء أعماله، وحرص السلطان بعدها على شحن القلاع بالعمال والموظفين ممن يثق بهم(١).

أما الطبقة الثانية فهي الطبقة الدنيا، طبقة السواد الأعظم من الهندوس ويمثلها الطائفة المنبوذة التي ليس لها مهنة خاصة، ولا عمل إلا خدمة الطبقة العليا، وكان أبناؤها يعانون الفقر والجوع ولا سيما في أوقات المجاعات والكوارث التي تتعرض لها البلاد، ولهذا عمل سلاطين دهلي بعض الإجراءات من أجل التخفيف عن هذه الطبقة، فقد كان السلاطين عند الاحتفال بتولي السلطنة ينثرون المال على الناس في الطرقات، فكان السلطان محمد تغلق شاه كثير البذل والعطاء(٢)، وعندما تعرضت البلاد في عهده للجدب وعظم البلاء على هذه الطبقة أمر السلطان أن يصرف لجميع أهل دهلي نفقة ستة أشهر، وحفر الآبار خارج دهلي ليزرع الزرع، وأعطاهم ما يلزم من البذور والنفقة، ورفع الضرائب التي تؤخذ منهم، ولم يبق إلا الزكاة(٣).

ومع ذلك ظهر التمييز الطبقي في الهند على الرغم من أن الإسلام ألغى النظام الطبقي الموروث(٤)، فلم يكن السلطان بلبن (٦٦٤-٦٨٤هـ/١٢٦٦-١٢٨٥م) يوكل أمر المملكة إلا للأكابر وأهل العلم، ولم يكن يعطي فرصة للطبقة الدنيا للتدخل في شؤون الحكم(٥)، وعندما قربهم السلطان محمد تغلق وولاهم المناصب في الدولة سنة (٧٤٨هـ/

(١) الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١٣٢؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٧٣؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٩٥.

(٢) الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص٩٧؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٣) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٨١، ٨٣؛ الحسيني، **نزهة الخواطر**،جـ٢، ص١٩٧.

(٤) النصيري، **تاريخ فيروزشاهي**، ص٣٧.

(٥) بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص٨٨؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦٧.

١٣٤٧م) ثار بعض الأمراء من الطبقة العليا في الأطراف والأنحاء حتى تخلصوا من هذا الوالي، فقيل إن السلطان أولع برعاية الأراذل والوضعاء... كانوا من أسافل العصر.. ومنهم البستاني، والحجّام والطباخ، والنساج، بل كان الأولاد يرثون الآباء في ضِعتهم ومهانتهم[(١)].

بينما شكل الرقيق الطبقة الثالثة من المجتمع الهندي، فقد كان الأرقاء مختلفين في أجناسهم وألوانهم فمنهم أرقاء الترك والأحباش والمغول والهنود وغيرهم، ولم يكن جميعهم أسرى حرب بل إن سلاطين المماليك الأول ممن باعهم التجار في أسواق النخاسة (الرقيق). ولم تقتصر على الرجال دون النساء فقد عملوا جميعاً في قصور السلاطين والأمراء، وعملوا في الزراعة والتجارة، وقد ارتفعت أسعار الجواري ممن يجدن الغناء، وكان السلاطين والأمراء يتبادلون الرقيق[(٢)] هدايا، وشاركوا في الجيوش قادةً وجنوداً، ولقد كان الغلمان والعبيد الأحباش والهنود تحسب من ضمن عائدات الولايات التي تؤدى إلى السلطان[(٣)].

وقد شهد العالم الإسلامي حكاماً كانوا أرقاء عند سادتهم السلاطين، وتدرجوا في سلك الجندية حتى بلغوا مناصب مهمة في الدولة؛ بل وصلوا إلى منصب السلطنة؛ فكان

---

(١) الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١١١؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٦٢؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٧٠-٢٧٣؛ النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، ص٥٦.

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٩٣؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦٢، ٢٦٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٥٤؛ الفقي، **بلاد الهند**، ص٣٦٧.

(٣) منهاج سراج، **طبقات ناصري**، ج١، ص ٦٣،٥٧٩؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، ج٢، ص٤٢،٤٨،٤٩،١٩٧؛ النصيري، **تاريخ فيروزشاه**، ص٢٦٨-٢٦٩؛ باربي، **تاريخ فيروزشاهي**، ص٩٦؛الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١٣٢؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٧٣؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٩٤؛ محمود، محمود عرفه، "النظم السياسية والاجتماعية بالهند في عهد بني تغلق (٧٢١-٨١٦هـ/١٣٢١-١٤١٤م) "**حوليات كلية الآداب**، (الحولية الثامنة عشر، السنة ١٤١٨هـ)، ص٥٩.

٨٠ د. خيرية بنت محمد آل سنة، جوانب من الحياة الاجتماعية في سلطنة دلهي الإسلامية، ص٥٧- ١٠٢

قطب الدين أيبك أول سلاطين المماليك في الهند مملوكاً عند سيده شهاب الدين الغوري، الذي أُشتهر بكثرة شرائه للرقيق – وقد أظهر هؤلاء الرقيق شجاعة فتولوا منصب قيادة الجيوش، ثم نواب عن السلطان، ثم وصلوا إلى السلطنة وذلك لأن السلطان شهاب الدين الغوري لم يكن له وريث إلا بنتاً واحدة، وكان شغوفاً بشراء الغلمان والعبيد وتربيتهم من باب الشفقة والرحمة، وقد قال له أحد المقربين: إنه ليس لديك أولاد ليرثوا السلطنة، فقال: "بالرغم من أن الملوك عندهم عدد من الأولاد، إلا أنني عندي آلاف من الأولاد وهم الذين سيحكمون هذه الممالك باسمي من بعدي"، وقد وصل لحكم بلاد الهند أربعة من غلمان شهاب الدين الغوري غير السلطان قطب الدين أيبك، وهم تاج الدين يلدز(١)، وناصرالدين قباجة(٢)، واختيار الدين الخلجي(٣)، وبهاء الدين طغرل(٤)فحكموا أجزاء من بلاد الهند(٥).

---

(١) يلدز: تاج الدين المعزي، اشتهر بالشجاعة، وقد اشتراه السلطان معز الدين الغوري، وجعله رئيساً على عبيده الآخرين، ثم تولى الإمارة على كرمان، وقد حاول أن يستولي على ملك الغور ولكنه قتل. (منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٥٨٣–٥٨٧).

(٢) قباجة: صهر السلطان قطب الدين أيبك، فقد تزوج بنتيه الواحدة بعد الأخرى، وقد واجه جلال الدين منكبرتي في السند، وهزم من السلطان ألتمش حتى أغرق نفسه سنة ٦٢٤هـ. (انظر منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٥٩٦؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، ص٤٣).

(٣) اختيار الدين الخلجي: عرض من ضمن الرقيق على السلطان شهاب الدين الغوري (٥٩٩–٦٠٢هـ/١٢٠٢–١٢٠٦م) في غزنة وعلى عدد من الأمراء ولم يقبل أحد شراءه؛ لأنه لم يكن جميلاً ولكنه أظهر شجاعة حتى وصل ذكره للسلطان قطب الدين آيبك فقربه إليه فكان والياً على البنغال (منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٥٩٨–٦٠٢؛بدواني، **منتخب التواريخ**، ص٣٨).

(٤) بهاء الدين طغرل: كان يتسم بالخصال الحميدة، ولاه شهاب الدين قلعة تهنكر وقد فتحها نيابة عن السلطان، كما سهل فتح قلعة كواليار، وكادت تقع الحرب بينه وبين السلطان قطب الدين أيبك، ولكنه توفي قبل ذلك (انظر منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٥٩٦؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٢٩).

(٥) منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٥٧٩؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٣٩؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٢٦.

وممن تولى سلطنة دهلي شمس الدين التمش (٦١٧ – ٦٣٣هـ/ ١٢١٠ – ١٢٣٦م) وكان مملوكاً لقطب الدين أيبك أي مملوك لمملوك، وكان هذا أحد أسباب ثورة بعض القادة ضده[١]. وكان سبب توليهم للمناصب المهمة ما تميزوا به من الشجاعة والتفاني والمروءة ومعرفة بالآداب السلطانية، ولهذا حصلوا على صك الحرية والعتق من أسيادهم[٢].

وكذلك السلطان بلبن (٦٦٤ – ٦٨٩هـ/ ١٢٦٦ – ١٢٩٠م) كان مملوكاً للسلطان ألتمش ولاحظ عليه الشجاعة والفتوة، وقربه السلطان حتى تولى بلبن السلطنة بعد وفاة السلطان ناصر الدين محمود بن ألتمش (٦٤٤ – ٦٦٤هـ/ ١٢٤٦ – ١٢٦٦م)، وكذلك أخوه كشلوخان، وقد كان للسلطان ألتمش مماليك يسمون بأتراك الخواجه تاش: أي المتفقين على أن يحافظوا على مملكة سيدهم السلطان ألتمش، ولكن تخلص منهم السلطان بلبن بعد أن تخلوا عن الاتفاق، وبدأ كل واحد يعمل لمصلحته الخاصة، واقتسموا حكم بلاد الهند لأنهم بعد وفاة ألتمش اقتسموا حكم بلاد الهند، وتخلوا عن الاتفاق بينهم وبدأ كل واحد يعمل لمصلحته الخاصة[٣].

وممن تدرج في المناصب جمال الدين ياقوت الحبشي والذي كان أميراً للأعلاف في عهد السلطان ألتمش ثم قربته السلطانة رضية (٦٣٤ – ٦٣٧هـ/ ١٢٣٧ – ١٢٤٠م) حتى

---

(١) الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١٧–١٨؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص٤٣؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٣١.

(٢) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢١٦، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣١.

(٣) باربي، **تاريخ فيروزشاهي**، ص٩٦؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٤٢؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦٦؛ Zakaullah,**The Mamlok** ,19 p.191-. ورد ذكر فرقة الخواجه تاش في ص٥٧.

أصبح أميراً للأمراء؛ بل وتزوجته ولهذا قتله رجال الدولة سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م) لعلو مقامه ومنزلته في السلطنة[(١)].

وكذلك الحال لكافور هزار ديناري الذي كان مملوكاً للسلطان علاء الدين الخلجي(٦٩٥-٧١٦هـ/١٢٩٦-١٣١٦م)، فقربه حتى أصبح نائباً للسلطان، وقد قاد العديد من المعارك ضد المغول والخارجين على الدولة وحقق انتصارات، وكان السلطان يستشيره، وقد استغل اشتداد المرض على السلطان، وكتب وصية بتعيين السلطان ابنه شهاب الدين عمر ولياً لعهده، وعزل ابنه خضرخان ذلك دون علمٍ من السلطان، وقد اختار كافور شهاب الدين عمر لأنه صغيرٌ لم يتجاوز السابعة، ونصب نفسه وصياً عليه، وقد أساء السيرة فسجن أبناء السلطان علاء الدين المؤهلين لتولي السلطنة، ولذا اشتدت المعارضة ضد كافور؛ فقضى عليه مملوكان من مماليك السلطان علاء الدين، يقال لهما بشير ومبشر حيث قطعا رأسه، وخلصا أبناء السلطان علاء الدين من السجن وعينا مبارك خان قطب الدين سنة(٧١٦هـ/١٣١٦م) سلطاناً بدلاً من أخيه شهاب الدين عمر الذي لم يبلغ الرشد[(٢)].

---

(١) منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٦٣٦؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٤٠؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص٥٩؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٤٥؛ الحسيني، **الأعلام**، جـ١، ص٩٩.

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٤٨-٤٩؛بدواني، **منتخب التواريخ**، ص١٣٦؛أكبري، **طبقات أكبري**، ج١، ص٣٠٣-٣٠٤؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤١٨-٤٢٠؛ البهكري، **تاريخ السند**، ص٤٤؛ الفقي، **بلاد الهند**، ص٣٦٧.

والرقيق المغول منهم قرابيك تيمور خان[١] والذي كان من عبيد خواجه تاش، وقد كان قائد الجيش المملوكي في عهد السلطان علاء الدين مسعود (٦٣٩ – ٦٤٤هـ/ ١٢٤٢ – ١٢٤٦م)، كان من يقع في الأسر من المغول يباع ويشترى في الأسواق[٢].

وقد استخدم السلطان محمد تغلق شاه (٧٢٥ – ٧٥٢هـ/ ١٣٢٥ – ١٣٥١م) الرقيق جواسيس له على الأمراء، فكان يجعل مع كل أمير مملوكاً ليكون عيناً عليه، وينقل له جميع أحواله، بل ويراقبه داخل مقره فيجعل الجواري في الدور عيوناً له على أمرائه، ويرسل الجواري اللاتي يطلق عليهن الكناسات[٣] ليدخلن البيوت، ويخبرهن الجواري في الدار بما لديهن من أخبار، ويقمن الكناسات بإخبار ملك المخبرين، وينقل الأخبار بدوره إلى السلطان وذلك دون علم الأمراء[٤].

وقد لعب الغلمان الفيروز شاهية – نسبة للسلطان فيروزشاه التغلقي- دوراً مهماً في الأحداث السياسية وقد بلغ عددهم ما يقارب اثني عشر ألف فارس، وقيل إن عدتهم مئة ألف، فقد أخرجوا السلطان فيروزشاه سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) قسراً ليوهموا ابنه محمد شاه أن والده خرج لقتاله، ولهذا فر محمد شاه إلى الجبال وتلافى مواجهة والده، وهم من أشار على السلطان فيروزشاه بتعيين حفيده تغلق شاه بن فتح خان لمنصب السلطنة، وهم من

---

(١) قرابيك تيمور خان: ولاه السلطان علاء الدين علي لكهتوتي بعد أن هزم المغول (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م). (منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٦٤٩؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص٦٢؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٥١؛ الساداتي، **تاريخ المسلمين**، ص١٣١).

(٢) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٥١، ٣٠٣، ٣٥٧.

(٣) الكناسات: هن من يجمعن القمامة (ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت/٧١١هـ)، **لسان العرب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م)، جـ٦، ص١٩٧).

(٤) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٩٦.

٨٤ د. خيرية بنت محمد آل سنة، جوانب من الحياة الاجتماعية في سلطنة دلهي الإسلامية، ص٥٧- ١٠٢

أشاروا عليه بقتل صهره الأمير السيد حسن لأنه قد تحالف مع الأمير محمد خان ابن السلطان فيروزشاه، كما وقفوا مع أبي بكر شاه بن ظفرخان بن فيروزشاه (٧٩١ – ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩ – ١٣٩٠م) ضد السلطان غياث الدين تغلق شاه بن فتح خان بن فيروزشاه والذي حكم لمدة خمسة أشهر في سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م) ولكن السلطان تغلق شاه أساء السيرة فخرج عليه ابن عمه أبو بكر بمساعدة المماليك الذين أعلنوا التأييد له وأوصلوه إلى السلطنة، كما ساعدوا الأمير محمد خان بن السلطان فيروزشاه (ت٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م) للتخلص من خان جهان وزير والده الذي أراد التخلص من الأمير محمد خان بالوشاية به عند والده[١] .

وعندما جلس محمد شاه بن فيروزشاه على كرسي السلطنة سنة (٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م)، أصدر أمراً بالقضاء على المماليك الفيروزشاهية أينما وجدوا، والاستيلاء على أموالهم وممتلكاتهم، وبناء على هذا لقي كثير من مماليك الفيروزشاهية حتفهم على أيدي الأهالي وغيرهم، وقد أخرج من بقي منهم وفر الكثير، وذلك لأن السلطان محمد رأى أنهم يسعون لتقليد مماليك مصر، حيث كانت تصل الأخبار في تلك السنين أن مماليك مصر قد استغلوا الأمر، وأنهم يقدمون كل فترة على قتل السلطان، ويجلسون مكانه، ولهذا أمهل السلطان محمد شاه من بقي منهم ثلاثة أيام للخروج، وفعلاً خرج كثيرون والذين لم يخرجوا قبض عليهم، وأعدموا، حتى إن بعضهم اضطر أن يقول نحن أصلاء أي لسنا مماليك، ولكن ذلك لم ينجيهم من فتك السلطان بل أعدمهم[٢]. وبالرغم من ذلك فقد أحسن السلطان محمد بن فيروزشاه إلى مبشر الحاجب السلطاني غلام فيروزشاه والذي كان ملقباً بلقب

---

(١) النصيري، **تاريخ فيروزشاهي**، ص٢٧٢؛ الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١٣٦-١٣٨؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٧٤-١٧٦؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٥٠٠.

(٢) الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١٣٦-١٣٨؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٧٤-١٧٦؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٩٤، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٠.

(إسلام خان) وذلك لأنه أرسل إلى محمد شاه يطلب منه الحضور ليتولى السلطنة مكان السلطان أبي بكرشاه، وقام مبشر باستمالة معظم المماليك الفيروزشاهية إليه، وعندما وصل محمد شاه دهلي، واستقر على كرسي السلطنة منح مبشر منصب الوزارة(١).

د- دور المرأة في المجتمع:

كان للمرأة الهندية في سلطنة دهلي دور كبير في المجال الاجتماعي والسياسي، وكان لها الحرية في القيام بأعمالها، وأسهمت المرأة في أعمال الخير والإحسان إلى العلماء والزهاد(٢)، فقد كانت المخدومة –الأميرة–جهان أم السلطان محمد تغلق شاه من أفضل النساء، كثيرة الصدقات، عمرت زوايا وجعلت فيها الطعام للوارد والصادر(٣)، كما شاركت المرأة في الهند زوجها همومه وعملت إلى جانبه؛ فكانت الفتاة الهندية تعد حفلاً للخطوبة، ولهذا أنشأ السلطان فيروزشاه التغلقي ديواناً للخيرات، وكان ممن ينفق عليهم منه الفتيات الفقيرات ليجهزن أنفسهن للزواج، كما كان للمرأة دورها في التئام شمل الأسرة و بعد موت زوجها خاصة (٤)، وكانت تفضل الموت على أن تقع في أيدي العدو(٥).

كان لتركان خاتون والدة السلطان ركن الدين بن السلطان ألتمش دور مهم في تولي ابنها السلطنة بعد وفاة والده سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)، وأرادت أن توثق أمر الحكم لابنها فقتلت الأخ الأكبر له من أم أخرى سنة (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م)، وهنا ظهر دور السلطانة

---

(١) بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٨٠؛ فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٥٠٩.

(٢) منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٦٣٠.

(٣) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص١٠٩.

(٤) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٦٠.

(٥) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٢٦؛ الفقي، **بلاد الهند**، ص٣٦٦.

٨٦ د. خيرية بنت محمد آل سنة، جوانب من الحياة الاجتماعية في سلطنة دلهي الإسلامية، ص٥٧- ١٠٢

رضية بنت ألتمش (٦٣٤ – ٦٣٧هـ/ ١٢٣٧ – ١٢٤٠م) والتي كان أخوها المقتول، وقد تمكنت من ضم رجال الدولة إلى جانبها، وألقت القبض على والدة ركن الدين وابنها وحبسته حتى توفي في الحبس، وتولت هي السلطنة، وكان والدها السلطان ألتمش قد دربها على إدارة الدولة، وعهد إليها بعده بولاية العهد، وقد أحبطت كل المؤامرات التي دُبرت لخلعها، وتزيت بزي الرجال، وقادت الجيوش بنفسها، وبالرغم من ذلك فقد كانت نهايتها على أيدي رجال الدولة وذلك لإبعادها كبار رجال الدولة المقربين عن المناصب المهمة، كما أنها قربت حبشياً كان أمير الاصطبل، وتزوجته، بل أنها خرجت دون حجاب النساء. وارتدت قبعة على رأسها، فتمرد عليها رجال الدولة، بالرغم أنها وصلت للسلطنة بمعاونتهم وقتلوها عام (٦٣٨هـ/١٢٤١م)[١].

هذا، وقد تخلى حكام دهلي في العهد المملوكي عن بعض عادات المجتمع الهندي مثل إحراق المرأة بعد موت زوجها[٢] ففي أحداث عام (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) أبعد السلطان ناصر الدين محمود ابن السلطان ألتمش والدته ملكة جهان -التي تزوجت الأمير قتلغ خان- وللتخلص من قتلغ خان منحه السلطان إقطاعية ولاية أَوَدَهْ[٣]، وأمره بالتوجه إليها، وقد أعلن قتلغ خان التمرد والعصيان برفقه بعض الأمراء والملوك الآخرين، وأرسل السلطان قواته

---

(١) منهاج سراج، **طبقات ناصري،** جـ١، ص٦٣٠؛ الدهلوي، **تاريخ مباركشاه،** جـ١، ص٢٥؛ أكبري، **طبقات أكبري،** ص١٣٤؛ فرشته، **تاريخ فرشته،** جـ١، ص٢٤٢؛ فواز، زينب، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**"،(د.م شبكة المشكاة الإسلامية، د.ت)، ص٢٨٠-٢٨١؛ الساداتي، **تاريخ المسلمين**، ص١٣٠.

(٢) البيروني، محمد بن أحمد أبو الريحان(ت/٤٤٠هـ)، **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة،** (بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٣م)، ص٤٢٨؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، ج٢، ص٢٦؛ الساداتي، **تاريخ المسلمين**،ص٣٨.

(٣) أَوَدَهْ: مدينة صغيرة يحدها من الشرق مدينة بهار، ومن الغرب قنوج، ومن الشمال نيبال، ومن الجنوب مانكبور والتي تبعد عن دهلي مسيرة ثمانية عشر يوما.(ابن بطوطة، **الرحلة**، ج ٢،ص ٤٥ ؛الندوي، **الهند في العهد الاسلامي**، ص ٨٢).

لمواجهتهم حتى هرب قتلغ خان، وهذا دليل واضح على تخلي حكام دهلى عن بعض العادات [١].

وقد حظيت زوجة نظام الدين[٢] وكيل البلاط بالسيطرة داخل حرم السلطان كيقباد ابن بغراخان بن السلطان بلبن (٦٨٤ – ٦٨٩هـ/ ١٢٨٥ – ١٢٩٠م) بل صارت في مقام السلطان تأمر وتنهى، وذلك لصغر سن السلطان، وانحرافه إلى الهوى والشهوات[٣].

كما كان "الملكة جهان" زوجة السلطان جلال الدين الخلجي (٦٨٩ – ٦٩٥هـ/ ١٢٩٠ – ١٢٩٥م)، وابنتها زوجة السلطان علاء الدين دور في الخلاف الذي دب بين السلطان علاء الدين وعمه جلال الدين، حيث كانت ملكة جهان وابنتها تسيئان معاملة علاء الدين، لذا عمل على التخلص من عمه بقتله غدراً رغم إحسان عمه وحبه له. وبعد مقتل السلطان جلال الدين بادرت ملكة جهان بتنصيب ابنها قدرخان إبراهيم سلطاناً خلفاً لوالده، وكانت تحكم البلاد ووزعت المناصب والألقاب والإقطاعات على رجال الدولة، وعندما قدم السلطان علاء الدين إلى دهلي حاولت أن تنقذ الموقف، نظراً إلى أن قدرخان لم يُعطي لقدوم علاء الدين الاهتمام الكافي، فأرسلت لابنها الأكبر أركالي خان، والذي كان في الملتان تطلب حضوره، ولكنه رفض نظراً لإساءتها له بتعيين أخيه الأصغر قبله،

---

(١) منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٦٧٠؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٥٩.

(٢) نظام الدين: لقد أسند إليه السلطان تصريف جميع أمور السلطنة، فطمع في أن يصل إلى السلطنة، وعمل على إثارة الفتنة بين أفراد العائلة الحاكمة (فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٣٠٢ – ٣٠٤).

(٣) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٤٣؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٠٩؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٣٠٤.

ولذلك لاذت بالفرار مع ابنها قدرخان، ولاحقهم السلطان علاء الدين حتى أودعها وابنها السجن في قلعة هانسي[١] سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) [٢].

كانت والدة السلطان فيروز شاه التغلقي تسمى "رانه مل بي بي نائلة"[٣] تبكي موت زوجها رجب[٤] وحزناً على من سيربي ويهتم بولدها وحيدها، وعندما سمع بذلك السلطان تغلق طمنها ووعدها أنه سيكون بمقام ولده، كما أن السيدة "خداوند زادة" ابنة السلطان تغلق، كانت معترضة على اختيار الملوك والأمراء للسلطان فيروزشاه، وكانت تريد أن يكون ابنها "داور ملك" هو السلطان فأرسلت "هل يصح في وجود ابني داور ملك، اختيار أمير الحجاب للسلطنة؟! إن أبي السلطان تغلق شاه، وأخي هو السلطان محمد شاه، فكيف يكون ابني موجوداً ويجلس غيره على العرش" ولكن لم يستجاب لرغبتها وعدلت عن مطالبتها باختيار ابنها سلطاناً بدلاً من السلطان فيروزشاه [٥].

---

(١) هانسي: تقع بين مدينتي سرستي ودهلى، وهي من أحسن المدن عمارةً (ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٢٨).

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٤٦؛ الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص٩٦؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٣٤٢، ٣٥٢، ٣٥٤؛ البهكري، **تاريخ السند**، ص٤٢؛ الحسيني، **نزهة الخواطر**، جـ٢، ص٢٠٥؛ **تاريخ هند**، ص٣٦٣؛ النمر، **تاريخ الإسلام**، ص١١٧.

(٣) وقد سماها السلطان تغلق بي بي كدبا نو "والمقصود أنها بعد عدة سنوات ستحمل بالولد (النصيري، **تاريخ فيروزشاهي**، ص٣٩).

(٤) رجب أخو السلطان تغلق شاه، وكان يتولى وظيفة صاحب الخيل (النصيري، **تاريخ فيروزشاهي**، ص٣٩؛ الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١١٨).

(٥) النصيري، **تاريخ فيروزشاهي**، ص٣٩؛ ٤٥-٤٦.

هـ- الأعياد والاحتفالات

احتفل المسلمون في الهند بعيدي الفطر والأضحى، وكان الاستعداد يبدأ في أواخر شهر رمضان حيث يبعث السلطان إلى الملوك، والخواص، وأرباب الدولة والغرباء، والكتاب، والحجاب، والنقباء، والقواد، والعبيد، الهدايا التي تعمهم جميعاً[١].

وكان السلطان بلبن يقضي أيام الأعياد على نمط ملوك العجم والفرس وطرقهم، فكان يبالغ في مد البُسط والفرش والسجاجيد المنقوشة والمزينة، وفي استعمال الأواني الذهبية والفضية، والستائر المنسوجة والمحلاة بالذهب، وكذلك أنواع الفاكهة والأطعمة والأشربة والأشجار العطرية مثل التنبول[٢]، وكان يجلس السلطان حتى نهاية اليوم، حيث يستعرض هدايا الأمراء والملوك، ورجال الدولة، وإذا عرضت هدية أحد الأعيان أخذ المقربون في ذكر صفاته الحميدة وأعماله الجليلة اللائقة[٣]. وقد استمر ذلك في عهد حكام سلطنة دهلي فقد أورد ابن بطوطة ذلك في مجلس السلطان محمد تغلق شاه[٤].

وقد أورد ابن بطوطة وصف مفصل للاحتفال بالأعياد في عهد الدولة التغلقية، ففي صبيحة العيد تزين الفيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر، ويكون منها ستة عشر فيلاً لا يركبها أحد، لأنها مختصة بركوب السلطان، وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر، وإذا

---

(١) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٦٢؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦٩؛ الندوي، **الهند في العهد الاسلامي**، ص٣١٠؛ الشرقاوي، **رحلة مع ابن بطوطة**، ص٢١٣.

(٢) التنبول: جمعه تنابيل نوع من الأشجار العطرية؛ وقيل نبات من الفصيلة الفلفلية يمضغ ورقة (ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١،ص٨٠؛ فرشته، تاريخ فرشته، جـ١، ص٢٦٩؛www.almaay.com).

(٣) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦٩.

(٤) **الرحلة**، جـ٢، ص٦٢.

ركب السلطان تسدل أمامه ستارة من حرير مرصعة بالجواهر، ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه، ورجال الدولة، والقضاة والأعزة (الغرباء) كل على فيل، ويركب المؤذنون وهم يكبرون، ثم يخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب، والعساكر تنتظره، كل أمير بفوجه على حده معه طبوله وأعلامه، ثم يتقدم السلطان وأمامه من ذكرنا من المشاة، وأمامهم القضاة والمؤذنون يذكرون الله، وخلف السلطان كبار رجال الدولة مرتبين حسب القرب من السلطان فيكون إخوته وأبناء عمومته المقربين، ثم رجال الدولة كلاً حسب منزلته[١].

فإذا وصل السلطان المصلى، أمر بدخول القضاة وكبار رجال الدولة والأعزة، ثم ينزل السلطان، ويصلي الإمام ويخطب، فإن كان عيد الأضحى أتى السلطان بجمل ونحره برمح، ويلبس فوطة حرير توقياً من الدم، ثم يعود إلى القصر[٢].

ويفرش القصر يوم العيد ويزين بأبدع الزينة وتضرب الباركة[٣] على المشور[٤] كله، وتُصنع أشجار من حرير ملون فيها شبه الأزهار، ويجعل منها ثلاثة صفوف في القصر الملكي، ويجعل بين كل شجرتين كرسيٌّ ذهب عليه مرتبة، وينصب السرير الأعظم في صدر المشور، وعندما يصعد السلطان على السرير ينادي الحجاب بأصوات عالية "بسم الله" ثم يتقدم الناس للسلام، وأولهم القضاة والخطباء والعلماء والشرفاء والمشايخ وأخوة السلطان وأقاربه وأصهاره، ثم الأعزة، ثم الوزير، وهكذا كل حسب مرتبته، من غير تزاحم ولا تدافع.ومن عاداتهم في يوم العيد أن كل من يحضر يكون معه دنانير مصرورة في خرقة

---

(١) **الرحلة**، جـ٢،ص ٦٣.

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٦٣؛ الندوي، **الهند في العهد الاسلامي**، ص٣١٠.

(٣) الباركة: شبه خيمة عظيمة، تقوم على أعمدة ضخام وكثيرة (ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٦٣).

(٤) المشور: القصر الملكي (ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٨٠).

مكتوب عليها اسمه، فيلقيها في طست من ذهب، فيجتمع فيها مال كثير يعطيه السلطان لمن شاء، فإذا فرغ الناس من السلام، وُضع لهم الطعام على حسب مراتبهم [١].

ومن مظاهر العيد أن تنصب المبخرة العظمى [٢]، وهي تشبه البرج، مصنوعة من الذهب، ولها ثلاثة مداخل يدخل فيها المبخرون، يوقدون العود والعنبر وأنواع البخور حتى يعم دخانها القصر كله، كما يكون في أيدي الفتيان براميل من الذهب والفضة مملوءة بماء الورد وماء الزهر يصبونه على الناس، وهذا السرير والمبخرة لا يخرجان إلا في العيدين خاصة [٣].

ويجلس السلطان بقية أيام العيد على سرير ذهب دون الترتيبات السابقة، وتنصب خيمة بعيدة عن القصر لها ثلاثة أبواب، ولها تنظيم معين في الدخول، يجلس داخلها السلطان بعد العصر، ومعه كبار رجال الدولة وحاشيته، ويأتي أهل الطرب، فأولهم بنات الملوك الكفار من الهنود المسبيات في تلك السنة فيغنين ويرقصن، ويهبهن لإخوته وأقاربه وأصهاره، وأبناء الملوك. ثم يجلس في اليوم الذي بعده، وكذلك يؤتى بالمغنيات فيغنين ويرقصن، ويهديهن لأمراء المماليك، وفي اليوم الثالث يقيم احتفالاً بمناسبة زواج بعض أقاربه، وينعم عليهم، وفي اليوم الرابع يعتق العبيد، وفي اليوم الخامس يعتق الجواري، وفي اليوم السابع يعطي الصدقات ويكثر منها [٤].

---

(١) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٦٣؛ الندوي، **الهند في العهد الاسلامي**، ص٣١٠-٣١١.

(٢) هذه المبخرة عبارة عن ثلاث قطع منفصلة وإذا أرادوا اتصالها وصلوها، ويحمل القطعة منها عدد كبير من الرجال. (ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص ٦٤).

(٣) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٦٣.

(٤) **الرحلة**، جـ٢، ص٦٢-٦٤؛ الفقي، **بلاد الهند**، ص٣٨٤-٣٨٥.

وظهر تأثير الفرس على المسلمين في الهند في الاحتفال بعيد النوروز[١]، ويوافق أول يوم في السنة الشمسية، وقد احتفل السلطان بلبن بعيد النوروز على طريقة ملوك العجم والفرس، وبالغ في الاحتفال به مثل الاحتفال بعيد الفطر والأضحى[٢]. وكان يحضره جميع الملوك والأمراء والأميرات، والمطربون والمنشدون، وينعم عليهم ليس من السلطان فقط، بل وحتى الأمراء، وقد حدث ذلك عدة مرات أيام السلطان بلبن[٣].

كما احتفل المسلمون في عهد سلطنة دهلي بحلول شهر رمضان، ويعدون العدة للاحتفال به منذ الأيام الأخيرة من شهر شعبان في كل سنة حيث يقوم العمال بإعداد آلات موكب السلطان من الأسلحة وغيرها، وفي اليوم الأخير من شهر شعبان يتأهب السلطان لعرض الخيل، وإذا انتهى العرض يتلو القراء آيات القرآن الكريم الخاصة بصيام شهر رمضان. وفي صباح اليوم الأول يركب الملوك والأمراء مرتدين الثياب الفاخرة متقلدين سيوفهم إلى قصر السلطان، وبين أيديهم العسكر ركباناً ومشاةً، ثم يخرج السلطان وحوله خاصته وحاشيته، ويسير الموكب السلطاني في شوارع دهلي، وخلفه الطبول والصنوج[٤]، حتى يصل

---

(١) النوروز: تعني اليوم الجديد ويزعمون أنه اليوم الذي خلق الله فيه السموات والأرض. (المنجد، صلاح الدين، **المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة**، (إيران: مطبوعات بنياد فرهنك، ط١، ١٩٨٧م)، ص٢٦٤؛ www.almaany.com).

(٢) النصيري، **تاريخ فيروزشاه**، ج١، ص٩١-٢٧٨؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦٩؛ الندوي، **الهند في العهد الاسلامي**، ص٣١١؛ Zakaullah, **The Mamlok** , p.244.

(٣) النصيري، **تاريخ فيروزشاه**، ج١، ص٣٦٠-٣٦١؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٧٨.

(٤) الصنوج: صفائح مدورة من النحاس الأصفر الرقيق على هيئة لوحين مستديرين قطر كل منها نحو ثلاثين سم (ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**،ص١٨٢).

إلى المسجد الكبير، ثم يأمر بتوزيع الأعطيات على الأمراء وكبار رجال الدولة وخطيب المسجد ومؤذنيه(١).

وقد اهتم سلاطين دهلي بالمواكب السلطانية فكان السلطان التمش يقول "إن السلطان الذي لا يراعي آداب وعادات السلطنة وقواعدها ورسومها وأسسها في ترتيب القصور وتنظيمها، ومراسم الخروج في المواكب والركوب، ولا يبدو منه احترام للملك والسلطنة، فإن هيبته تضيع ولا تقع في قلوب أعداء السلطنة، ويظهر في البلاد أمور الخلل والاضطراب"(٢) وفي ذلك توضيح لأسباب الاهتمام بالمواكب والمراسم السلطانية.

ولذلك كان السلطان غياث الدين بلبن يبالغ في التزين في الملابس ومتطلبات الأبهة والعظمة، والمراكب السلطانية، لتكون في غاية الهيبة والجبروت، بحيث ترعب الناظرين، وترتعد القلوب المتمردة، فقد يمر في موكبه خمسمائة من عناصر المجتمع الهندي، وهم مشاة يضعون السيوف مجردة على أكتافهم بشكل مهيب(٣). وكان كبراء المدينة وأعيانها يخرجون لاستقبال السلطان عند عودته خارج المدينة، وينصبون الخيام وقباب الزينة في المدينة كلها، ويقيمون الأفراح والاحتفال بمناسبة العودة الموفقة وإحراز الانتصارات على أعدائه، كما يقومون بنثر الأموال من ذهب وفضة ثم يجمعونه ويرسلونه إلى الولايات ليتم تقسيمه بين المستحقين(٤).

---

(١) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ص١٤٢؛ النصيري، **تاريخ فيروزشاه**، ج١، ص٣٦٥-٣٦٦؛ الندوي، **الهند في العهد الاسلامي**، ص٣١٢.

(٢) بدواني، **منتخب التواريخ**، ج١، ص٤٥؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦٩.

(٣) باربي، **تاريخ فيروزشاه**، ص٨١-٨٢؛ الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، ج١، ص٤٢؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٦٨.

(٤) الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، ج١، ص٤٢؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٧٥؛ البهكري، **تاريخ السند**، ص٤٩.

وإذا قدم السلطان في عهد بني تغلق من مواجهاته الحربية منتصراً زينت الفيلة على نسق زينتها في الأعياد، وكذلك توضع أمام السلطان الستارة المرصعة بالجوهر النفيس، والقباب الخشبية المكسية بالحرير، والجواري والمغنيات يتزين بأجمل لباس، ويشربون من المياه العطرية، وتزين حيطان الشارع الذي يمر به الموكب من باب المدينة إلى باب القصر بثياب الحرير، ويمشي أمامه المشاة من عبيده، ويكون العساكر خلفه، ثم تلقى الأموال من دنانير ودراهم على الناس، ثم يحضر الطعام للاحتفال على قسمين: خاص للسلطان وخواصه، والطعام العام يحضره القضاة والخطباء والمشايخ، وأقارب السلطان والأمراء والكبار من رجال الدولة ثم سائر الناس(١).

- **حفلات الزواج:**

يتولى قاضي القضاة في دهلي عقد الزواج، وكان لا بد من حضور ولي أمر الزوجة أو من ينيب، ولا بد أن يقرأ القاضي عقد الزواج، وقد حضر السلطان محمد تغلق شاه نيابة عن وزيره خواجة جهان عند تزويج بنتيه — وكان الوزير إذ ذاك غائباً — ووقف السلطان حتى قرأ القاضي عقد الزواج وبحضور القضاة والأمراء والمشايخ(٢).

---

(١) النصيري، **تاريخ فيروزشاهي**،ج١، ص٢٥٢،٢٧١ ؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٦٥-٦٦؛ الشرقاوي، **رحلة مع ابن بطوطة**، ص٢٨٧.

(٢) البيروني، **تحقيق ما للهند**،ص٧٦؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٧٩.

وقد تجلت لنا تقاليد سلاطين دهلي[١] في الزواج من خلال وصف مراسم زواج الأمير سيف الدين بن هبة الله بن مهنى – أمير عرب الشام[٢]، من أخت السلطان "فيروزخونده"، وقد ضربت الصيوانات في أفنية القصر الأحمر[٣]، وضربت فوق كل صيوان قبة ضخمة، وفرش بالفرش الحسن، وأحضروا المطربين والمغنين والنساء المغنيات والراقصات وكلهن مماليك السلطان، وأحضروا الطباخين والخبازين، والشوائين، والحلوانيين، وذبحت الأنعام والطيور، وأطعموا الناس خمسة عشر يوماً، ويحضر الأمراء والكبار والأعزة ليلاً ونهاراً[٤].

وقبل ليلة الزواج بليلتين حضر نساء من دار السلطان إلى القصر الأحمر الذي يقيم فيه الأمير سيف الدين، وفرشن القصر بأحسن الفرش، ولأن الأمير كان عربياً غريباً لا قرابة له في الهند أمر السلطان أن تقوم زوجة أبيه أم أخيه مبارك خان مقام أم الأمير، وأن تكون إحدى النساء في مقام أخته، وأخرى مقام عمته، وأخرى مقام خالته حتى يكون كأنه بين

---

(١) وردت أخبار زواج بعض سلاطين أو أمراء وملوك أو بنات سلاطين في دهلي، ولكن لم ترد تفاصيل ذلك. انظر فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٢٧؛ ٢٣١؛ ٣١٩؛ ٣٢٠.

(٢) الأمير سيف الدين بن هبة الله بن مهنى :أمير عربي قدم إلى الهند وقد ولاه السلطان محمد تغلق شاه عدة مالوه ونهروالة وغيرها، وقد عزله السلطان عن الولاية لأنه اعتدى على أحد الأمراء المقربين، ثم أعاده إلى ولايته بعد أربع سنوات (ابن بطوطة، **الرحلة**، ج٢، ص٧٨-٧٩).

(٣) قصر السلطان جلال الدين في دهلي، ويعرف بالفارسية بكشك لعل أي القصر الأحمر.(ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٧٦).

(٤) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٧٦-٧٧.

أهله، وأجلسنه على المرتبة ووضعن له الحناء في يديه ورجليه، وقام بعضهن على رأسه يغنين ويرقصن، ثم انصرفن إلى قصر الزفاف وأقام هو مع خواصه وأصحابه[١].

وعين السلطان جماعة من الأمراء يكونون من جهته، وجماعة يكونون من جهة الزوجة، حيث كان من عادتهم في الزواج أن تقف جماعة الزوجة على باب الموضع الذي تخرج الزوجة منه على زوجها، لتمنعه من الدخول ويأتي الزوج بجماعته، فلا يدخلون إلا إذا غلبوا أصحاب الزوجة واستطاعوا ازاحتهم عن الباب، أو يعطونهم الآلاف من الدنانير إن لم يقدروا عليهم[٢].

ولما كان بعد المغرب لبس الزوج خلعة حرير زرقاء مزركشة مرصعة بالجواهر، ثم ركب الأمير سيف الدين فرسه ومعه أصحابه وعبيده، وفي يد كل واحد منهم عصا، وتوجهوا إلى باب القصر الذي فيه العروس، حيث عنده جماعة الزوجة، فحمل عليهم بأصحابه حملة عربية[٣]، وغلبوهم، ودخل إلى القصر، وكانت العروس على منبر عالٍ مزين، والقصر ملآن بالنساء، والمطربات، وكلهن وقوف، ودخل بفرسه حتى قرب من المنبر ثم نزل، وقامت العروس حتى صعد وأعطته التنبول بيدها، فأخذه وجلس عند الدرجة التي وقفت بها، ونثر دنانير الذهب على رؤوس الحاضرين من أصحابه، والتقطتها النساء، والمغنيات يغنين، ثم قام وأخذ بيد زوجته، ونزل وهي تتبعه، وركب فرسه، وحملت العروس في محمل تدخله ثم حملها العبيد على أعناقهم إلى قصره، وخرج خلفها النساء بعضهن راكبات وأخر ماشيات، حتى أوصلوها إلى قصره[٤].

---

(١) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٧٦-٧٨؛ محمود، **النظم السياسية والاجتماعية**، ص٧٨.

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٧٦-٧٨؛ محمود، **النظم السياسية والاجتماعية**، ص٧٨.

(٣) الحملة العربية تتسم بشدة البأس حيث كان هذا الأمير من عرب البادية الجفاه (ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٧٧-٧٨).

(٤) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٧٦-٧٨؛ محمود، **النظم السياسية والاجتماعية**، ص٧٨.

ولما كان من الغد بعثت العروس إلى جميع أصحاب زوجها الثياب والدنانير والدراهم، وأعطى السلطان لكل واحد منهم فرساً وصرة(١) مال من ألف دينار إلى مائتي دينار، وأعطوا النساء المرافقات لها في الزواج وأهل الطرب، وكان من عادتهم في الهند أن الذي يعطي أهل الطرب هم أهل العروس، وأُطعم الناس جميعاً في ذلك اليوم(٢).

ومن خلال وصف ابن بطوطة لزواج أخت السلطان اتضحت لنا عادات الزواج من ذهاب الخاطب إلى بيت المخطوبة، وتقوم النساء من أهل الزوجين بتجهيز مكان الزواج وتخضيب أيدي وأقدام العروسين بالحناء، وطريقة دخول الزوج إلى حفل الزفاف، ويمكن أن تعمم على عامة بلاد الهند، وإن كان هناك فارق في الأبهة والتجهيزات كلاً حسب منزلته(٣).

و- عادات الوفيات والجنائز:

دلت الأحداث التاريخية في سلطنة دهلي على أن المسلمين في الهند اتبعوا تعاليم الإسلام من حيث تغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه، ثم دفنه على الطريقة الإسلامية، ثم تقام مراسم العزاء لمدة ثلاثة أيام، ويأكلون جميعاً ولا سيما المساكين(٤).

وفي صبيحة اليوم الثالث من دفن الميت فإنهم يخرجون إلى القبور ويفرشون جوانب القبر بالبسط والحرير، ويضعون الزهور البيضاء والصفراء فوق القبور، وبعض الأغصان المثمرة

---

(١) صرة: الجمع الصر أو الصرر مايجمع فيه الشيء ويشد وهو في الغالب من القماش ومنها الدراهم والدنانير، ابن منظور، منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٤٥٢.

(٢) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٧٦-٧٨؛ محمود، **النظم السياسية والاجتماعية**، ص٧٨.

(٣) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٧٧-٧٨؛ محمود، **النظم السياسية والاجتماعية**، ص٧٧-٧٨؛

Major .H. A ,**India in the Fifteen Century**,(London،1973),p.77.

(٤) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٤١؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٧١- ٤٤٥- ٤٦٠؛ البهكري، **تاريخ السند**، ص٤٦.

مثل الليمون وغيره دون أن ينزعوا ثمارها، وينثر بعض الفواكه اليابسة، ويجتمع الناس، ويؤتى بالمصاحف، ويقرأون القرآن حتى يختمونه ويسمونه "الختمة"، ثم يسقون الناس الماء، ويصب عليهم ماء الورد، ومن عادتهم وضع نعل الميت على متكأ قبره، ومقابر دهلي خارج السور، وكانت مقابر حسنة، يبنون بها القباب، وعند كل قبر لا بد من محراب، وإن كان لا قبة له، ويزرعون بها الأشجار المزهرة التي لا تنقطع طوال فصول السنة(١).

وقد كان للسلاطين مقابر خاصة يدفن فيها السلطان وأبناؤه وأحفاده فقد كان للسلطان فيروزشاه مقبرة خاصة به، وحين توفى ابنه فتح خان سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) في حياته دفنه في مقبرته الخاصة، وكذلك دفن فيها ابنه السلطان محمد بن فيروزشاه التغلقي (٧٨٩ – ٧٩٦هـ/ ١٣٨٧ – ١٣٩٤م) وقد كانت وفاته خارج دهلي، ومع ذلك حمل نعشه حتى دفن بجوار والده، وكذلك السلطان اسكندرشاه همايون بن السلطان محمد بن فيروزشاه، والذي توفي بعد والده بشهر واحد فقط ودفن إلى جواره(٢).

وكانت هذه المقابر محط الاهتمام والزيارة ففي القرن الثامن حين زار ابن بطوطة الهند ما زال قبر السلطانة رضية يزار، ويتبرك به، وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون(٣). وكان السلطان بلبن يقوم بزيارة مقابر الأكابر، ويحضر جنازات العظماء والوجهاء، ويصلي عليهم، ويذهب للتعزية فيهم، ويكرم أبناء الميت وأقاربه ويخلع عليهم العطايا، ويقر

---

(١) ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٣٥؛ محمود، **النظم السياسية والاجتماعية**، ص٧٨.

(٢) الدهلوي، **تاريخ مباركشاه**، جـ١، ص١٥٥؛ بدواني، **منتخب التواريخ**، جـ١، ص١٨١؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٤٩٣-٤٩٤، ٥١٢ - ٥١٣.

(٣) منهاج سراج، **طبقات ناصري**، جـ١، ص٦٣٨؛ ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ٢، ص٤١؛ أكبري، **طبقات أكبري**، ص١٣٥؛ فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٤٤-٢٤٥.

مستحقات المتوفى لورثته[١]. ونظراً لتفشي ظاهرة خروج النساء لزيارة القبور فقد تصدى لهن السلطان فيروزشاه، وأمر بمنع هذه البدعة والقضاء عليها بتعزير كل من تقوم بذلك[٢].

الخاتمة

لما كانت الدولة الإسلامية في بلاد الهند خلال الفترة (٦٠٢– ٨١٥هـ/ ١٢٠٦ – ١٤١٢م) قد تيسرت لها سبل التقدم الحضاري، فإننا نلحظ تقدماً في الجوانب الاجتماعية التي تطرقنا لها بما يتناسب مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

وقد اتضح لنا أن المجتمع الهندي يتكون من العديد من الأجناس المختلفة التي وصلت إليها براً أو بحراً، ثم استقرت فيها وأنشأت لها مستعمرات نشروا فيها عاداتهم وتقاليدهم إلى جانب الهنود الأصليين.

ثبت أن العرب كان لهم صلات تجارية بالهند قبل الإسلام، واستمروا بعد ظهور الدعوة الإسلامية، وكان للفتح الإسلامي لبلاد الهند دور في استقرار العرب في بلاد الهند، وذلك لأنهم حملوا لواء نشر الإسلام في المناطق المفتوحة، وقد نال العرب التكريم والمحبة والإعزاز من قبل سلاطين دهلي.

وتبين أن العنصر التركي له أثر كبير في جميع مناشط الحياة في الهند، وذلك لأن السلطنة والحكم في أيديهم، وقد تزود هؤلاء السلاطين الترك بأعداد كبيرة من بني جنسهم وذلك لكونهم يحكمون في غير بلادهم، كما أنهم في بداية توليهم الحكم لم يتقبلهم المجتمع لأنهم بدأوا حياتهم مماليك للسلاطين في غزنة، ثم تدرجوا حتى وصلوا إلى السلطنة، بل وكان

---

(١) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٢٧١؛ الندوي، مسعود، **تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند** (د.م، دار العربية، ١٩٧٧م)، ص٣٦-٣٧.

(٢) فرشته، **تاريخ فرشته**، جـ١، ص٥٠٣.

بعضهم مملوكاً لمملوك.أما الأفغان فقد كان وجودهم مع بداية نشأة الدولة الإسلامية في دهلي صغيراً؛ حيث شكلوا أجزاء من عناصر جيش الدولة المملوكية، وبلغوا الذروة في نشاطهم العسكري والمضاد للدولة الإسلامية في دهلي في عهد الدولة التغلقية، ممثلة في أمراء المئة حتى تمكنوا من إنشاء دولة لهم في هضبة الدكن بقيادة حسن جانجو الذي اعترف به الخليفة العباسي، وأمر السلطان فيروزشاه أن يترك له ما ملكه في بلاد الهند.

لقد سمع المغول بثروات بلاد الهند فطمعوا بها، وكانوا في حالة كر وفر مع القوى الإسلامية في سلطنة دهلي، ولكن بعض المغول استقروا في بلاد الهند وعاشوا بها كبقية سكان الهند، ومنهم الأسرة الخلجية التي تولت السلطنة، والذين ظهروا في الهند منذ أيام الدولة الغورية وتحت سيادتها، وجزءاً من قوات الدولة المملوكية في الهند، وتعرضوا للإبادة في بعض الفترات التاريخية، بتهمة التجسس لصالح المغول خارج الهند، وبالرغم أن الأسرة الخلجية تعود أصولها للمغول؛ إلا أن سلاطينها واجهوا المغول الغزاة من خارج الهند، وظل وجود العنصر المغولي في بلاد الهند، وزادوا بعد قيام الدولة المغولية هناك.

كان الوجود الفارسي والرومي صغيراً، إذا ما قورن ببقية العناصر، وكان تركيزهم في النشاط التجاري بعيداً عن النشاط السياسي. تألف المجتمع الهندي من طبقتين متباينتين، الطبقة العليا في أيديهم السلطة والسيطرة، وينعمون بالترف والتنعم في خيرات الهند. أما الطبقة الدنيا التي تمثل معظم السكان في سلطنة دهلي، وقد حاول بعض السلاطين في دهلي التخفيف عن هذه الطبقة، ولكن مع ذلك بقي نظام الطبقية في بلاد الهند.

كان لا بد من الحديث عن الرقيق بحسبانها طبقة في المجتمع الهندي، والذين وصلوا للسلطنة في دهلي ممثلة في دولة المماليك، وحرصوا على أن يكون لهم مماليك أيضاً، فزادوا من أعدادهم ليضمنوا ولاءهم لهم. وقد كان الأرقاء في سلطنة دهلي يختلفون في أجناسهم

وألوانهم فمنهم أرقاء الترك، والأحباش، والمغول، والهنود، ولم يقتصر على الرجال دون النساء فقد عملوا جميعاً في قصور السلاطين والأمراء والنبلاء.

شاركت المرأة في سلطنة دهلي الإسلامية في مختلف المناشط، فكان لهن دور في الأحداث السياسية. حيث تولت رضية بنت ألتمش السلطنة في دهلي، وكان للمرأة الخلجية والتغلقية دورهن في الأحداث السياسية خلال تولي سلاطين تلك الدول، كما كانت المرأة في الهند تشارك أسرتها في جميع شؤونها، وأسهمت في أعمال الخير والإحسان إلى طبقات المجتمع الهندي.

احتفل المجتمع الإسلامي في سلطنة دهلي بعيدي الفطر والأضحى، كما احتفلوا بعيد النوروز بأثر العناصر التركية والفارسية، وكانت هذه الاحتفالات تقام في شيء من الأبهة والعظمة. كما أولوا المراسم الدينية كثيراً من عنايتهم مثل التجهيز لشهر رمضان منذ نهاية شعبان، ثم بعض العادات المتبعة في أول أيام رمضان التي تقام بعناية وقدسية تناسب هذا الشهر الفضيل. كما كان الاحتفال بعودة السلطان له عظمته، وظهر جلياً في الترف والنعيم الذي بلغ أقصاه في بلاط السلاطين.

كان للزواج في سلطنة دهلي عاداته وتقاليده التي تتماشى مع الشريعة الإسلامية، من عقد النكاح على يد قاضي القضاة بحضور ولي أمر العروس أو من ينوب عنه، وكان يحضر أهل الشاب يتقدمون لخطبة الفتاة، وإذا حدثت موافقة يبدأ الإعداد لمراسم الزواج مثل الحناء، ودخول العريس على عروسه في حفل الزفاف، وأخذها لبيتها، وتوزيع الهدايا والأعطيات.

تبين أن المجتمع الإسلامي في دهلي سار على عادات المجتمعات الإسلامية الأخرى، من حيث التغسيل للميت والتكفين، والدفن، وكانت المقابر خارج المدن، وكان

١٠٢ د. خيرية بنت محمد آل سنة، جوانب من الحياة الاجتماعية في سلطنة دلهي الإسلامية، ص٥٧- ١٠٢

للسلاطين مقابر خاصة، وكان بعض المجتمع في الهند يزور القبور سواء من الطبقة العليا أو الدنيا، وقد تفشت عادة زيادة النساء للقبور حتى أصدر السلطان فيروز أمره بإلغاء هذه العادة.